المسيح يصلب فى فلسطين

(مسرحية)

نسيم مجلى

نسيم مجلى: المسيح يصلب فى فلسطين

الحضارة للنشر

7 شارع أبو السعود – الدقى 12311 – القاهرة

Al-Hadara Publishing
7 Abou El-Seoud Street
Dokki 12311، Cairo، Egypt

Tel. : (20-2) 3761 94 39
Mobile: (20-12) 316 48 67

E-mail: ask@alhadara. com
E-mail: hadara@idsc. net. eg
www. alhadara. com

الطبعة الثانية: ديسمبر **2011**
رقم الإيداع بدار الكتب **2011/ 16418**
I. S. B. N. 978-977-476-118-7

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

المسيح يصلب فى فلسطين

تقديم

بنيت هذه المسرحية أساسا على حادثة فريدة وقعت فى الفاتيكان حيث عقد المجمع المقدس دورته الثانية فى 28 أكتوبر 1965، وأصدر وثيقة التسامح الدينى بعنوان "إعلان عن علاقة الكنيسة الكاثوليكية بالديانات الأخرى غير المسيحية" وعبر هذا الإعلان بقوة عن روح التسامح تجاه جميع الديانات بما فيها الهندوكية والبوذية، لكن هذا الموقف تجاه اليهود وتأكيد الوثيقة بأن يهود العالم اليوم ليسوا مسئولين عن جريمة صلب المسيح، أثار عاصفة من الجدل والنقاش فى الصحافة المصرية والعربية.

كما أن الكنيسة القبطية رفضت هذه الوثيقة على اعتبار أنها محاولة لتحريف النصوص المقدسة لخدمة أغراض إسرائيل التى تسعى لتوسيع احتلالها للأرض الفلسطينية. ووقفت الدولة المصرية بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر إلى جانب الكنيسة فى رفضها للوثيقة واعتبرتها أداة سياسية لدعم إسرائيل فى صراعها مع الفلسطينيين والعرب. ومن أجل هذا شكلت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وفدا من كبار الكهنة وبعض العلمانيين المختصين بالتاريخ والقانون وذهبوا لحضور المجمع بالفاتيكان وتقديم وجهة نظر الكنيسة المصرية ضد الوثيقة لكن دون جدوى، فقد صدرت الوثيقة وتم التوقيع عليها وإعلانها دون اعتبار لموقف الرفض من جانب مصر والدول العربية.

وقبل انقضاء عامين على صدور الوثيقة وقع ما كنا نخشاه إذ قامت إسرائيل فى الخامس من يونيه سنة 1967 بعدوانها الغادر، واحتلت أرض ثلاثة أقطار عربية فى مصر وسوريا والأردن. واستمر هذا الاحتلال حتى نصر اكتوبر 1973، إذ اضطرت إسرائيل أن تنسحب من سيناء مقابل

معاهدة السلام التى وقعتها مع مصر فى كامب ديفيد، لكنها مازالت تحتل الجولان فى سوريا والضفة الغربية حتى الآن، لأن سوريا والفلسطينيين رفضوا الدخول إلى جانب السادات فى المفاوضات مع إسرائيل والاشتراك فى اتفاقيات السلام.

وقد كتبت هذه المسرحية فى عام 1969 ونحن نتجرع مرارة الهزيمة وأثناء حرب الاستنزاف وعدوان إسرائيل المتكرر على المصانع والمدارس فى مصر. وكان من الطبيعى أن يتأثر جو المسرحية بمناخ العنف ونداءات الثأر والانتقام من العدو الإسرائيلى التى كانت تتردد على كل لسان. وهذا واضح وملموس فى الطبعة الأولى التى صدرت سنة 1978، بعنوان "القضية" حيث يدعو الكورس فى نهاية المسرحية إلى مواجهة المحتل بكل قوة وضربه وطرده وتحرير الأرض وهذا ما تحقق بحرب أكتوبر الظافرة التى حطمت خط بارليف وحطمت معه أسطورة الجيش الذى لا يقهر؛ فحررت سيناء وفتحت طريق السلام والتعمير.

وفى ضوء هذه الأوضاع الجديدة أصبحت حماية السلام هى مسئولية الجميع، وأصبح واجب الكتاب والمبدين هو تدعيم أسس السلام القائم على العدل، ونبذ كل دعوات التطرف والتعصب والانتقام. وهذا ما تبشر به هذه المسرحية فى صورتها الجديدة.

والمؤلف حين يعيد هذه المحاكمة الخيالية إلى الأذهان ويعمل على تحقيق واقعة صلب المسيح وتحديد هوية المجرمين الحقيقيين، فإنه يسعى لكى يفتح أفقا جديدا لرؤية القضية ومناقشتها مناقشة عقلانية فى ضوء نصوص الإنجيل المقدس وفى ضوء الأوضاع الحالية.

لكن الصيغة الجديدة لا تتخلى عن شىء من ركائز المسرحية الأولى فى الرؤية والمضمون الكلى وهو الدعوة لتحرير الأرض وتحقيق السلام مع إسرائيل بل والعالم كله إذا أمكن ذلك. ولم يطرأ التغيير إلا على البناء

المسرحى بدمج الفصل الأول ضمن الفصل الثانى تحقيقا لمتطلبات الصياغة المسرحية.

نسيم مجلى

28 يوليه 2009

نص تقرير الأنبا غريغوريوس

عن مسرحية "القضية"

تأليف: نسيم مجلى

مسرحية جميلة ومعبرة، وصورة صادقة للواقع والتاريخ، تتميز بالصدق والحق، والحوار فيها ممتع وطريف وحى.

ونص المسرحية يطابق حقائق التاريخ، ويوافق نصوص الإنجيل. إنه يفضح الصهيونية الأثيمة، ويعرض فى صدق أفكار زعماء اليهود فى زمان المسيح، وأحلام أحفادهم يهود اليوم فى دولة إسرائيل، ومازالوا يرتكبونه من اعتداءات على الحريات والمقدسات بزعم أنهم الشعب المختار، ويكشف استحقاقهم للعنة التى حلت عليهم إلى الأبد برفضهم للمسيح ودعوته ثم صلبه وقتله.

إن المؤلف لهذه المسرحية قد برهن على معرفة واسعة ودقيقة بالتاريخ وكفاءة عالية فى إدارة الحوار، بأسلوب شيق ممتع، وعرض أخاذ وجذاب وهادف، وعلى وطنية مخلصة أشد إخلاص، وإيمان عميق بعدالة القضية العربية.

إننى أهنىء المؤلف على مسرحيته الممتازة التى أصابت الهدف والمرمى من تأليفها.. وأرجو أن تتاح لهذه المسرحية كل الإمكانيات لتستمتع بها جماهير شعبنا، ولا سيما المثقفون.

أنبا غريغوريوس

أسقف عام الدراسات العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى

دير الأنبا رويس

السبت 22 ديسمبر 1973 - 13 كيهك 1690

المكان: القاهرة

الزمان: أواخر الستينات

الشخصيات:

1- رئيس المحكمة
2- عضو يمين
3- عضو يسار
4- قيافا
5- بيلاطس البنطى
6- يهوذا الاسخريوطى
7- كلوديا زوجة بيلاطس
8- ماريانا صحفية إسرائيلية
9- هيرودس حاكم مدينة الجليل

البرولوج

فى وسط بقعة من الضوء الأخضر الهادىء يظهر الراوى حيث يعلن:

بعد قليل من اللحظات
تعرض عليكم القضية
وتشهدون وقائع المحاكمة
وترون أشخاص المتهمين
فنحن نعيد تمثيل الأحداث
من جديد
لكن دعونا أولاً
نقدم جانباً من الأحداث
لعله دار فى مكان بعيد
فاستيقظوا جيداً
وافتحوا الآذان والعيون
فهذه مسرحية غريبة نوعاً
تقدم الأحداث في مشهدين منفصلين
مع أن القضية واحدة ومعروفة
فاحترسوا أن يفوتكم شيء
حتى أبسط التفاصيل
وجاهدوا أن تربطوا ما بين الوقائع
حتى لا تغيب الحقيقة
وتتميع القضية
ويضيع منكم الطريق
ولا تظنوا بالمسرحية الظنون

فهى رغم ما فيها من أفكار
حافلة بالإثارة والإمتاع
وحين ينزل الستار الأخير
لا تستحوا أن ترفعوا أصواتكم
وتعلنوا آراءكم
فطبيعى أن يكون للإنسان موقف
ضد الزيف والإجرام
حتى لا يقال بحق
إن ضمير الإنسان قد مات
وانقضى إلى غير رجعة زمان الفرسان والشجعان
فليس هناك بديل للعدل والحرية
سوى أن يسود الظلم
وتنتصر البربرية

(يختفى الراوى ويظهر البابا بول السادس فى هالة من الضوء على شاشة عرض فى الخلفية ليعلن وثيقة التسامح الدينى مع جميع الأديان بغير تمييز حتى الهندوكية والبوذية)

يقول البابا:

"حيث أن الأبوة الروحية المشتركة بين جميع المسيحيين واليهود هى هكذا عظيمة، فإن هذا المجمع المقدس يريد أن يتبنى ويوصى بالفهم المتبادل والاحترام الذى هو، فوق كل شىء، ثمرة للدراسات الإنجيلية واللاهوتية وكذلك للحوارات الأخوية.

حقيقة، إن السلطات اليهودية ومعها الذين ساروا خلف رئيسهم كانوا يضغطون من أجل صلب المسيح؛ لكن، ما حدث له فى آلامه لا يمكن أن تقع تبعته على جميع اليهود دون تمييز، سواء الذين كانوا أحياء لا يزالون آنذاك، أو يهود اليوم. ورغم أن شعب الكنيسة هو خليقة جديدة (فى المسيح) فمن الواجب علينا عدم تقديم اليهود أو إظهارهم بمظهر المرفوضين أو الملعونين من الله، وكأن ذلك تطبيقا لتعاليم الأناجيل المقدسة. وعلى الجميع أن يراعوا ذلك، حين قيامهم بالتعليم أو فى تقديم العظات بكلمة الله ألا يعلموا شيئا غير مطابق لحقيقة الإنجيل وروح المحبة المسيحية.

زد على ذلك، فإن الكنيسة فى رفضها لكل صنوف الاضطهاد ضد أى إنسان، ووعيها بروابط الأبوة التى تشترك فيها مع اليهود فإنها تتحرك ليس بدوافع سياسية وإنما بدوافع المحبة الروحية النابعة من تعاليم الإنجيل، فتستنكر الكراهية، والاضطهاد، وإظهار العداء للسامية، الموجه نحو اليهود فى أى وقت ومن أى إنسان.

إضافة إلى ذلك، فإن الكنيسة كما كانت تؤمن دائما، وكما تؤمن هى اليوم فإن المسيح قد تحمل آلامه وموته باختياره من أجل غفران خطايا الإنسان وبدافع الحب اللانهائى، حتى يتمكن الجميع من الحصول على الخلاص.

من أجل هذا، فإن مسئولية الكنيسة عن التعليم تقضى عليها أن تعلن أن صليب المسيح هو علامة على محبة الله للجميع وهو أيضا نبع تتدفق منه جميع النعم".

يتغير المشهد ويظهر الراوى مرة ثانية ليعلق على هذا الإعلان:

الراوى:

نجح التآمر بين الصهيونية والإمبريالية وتحقق لهم الهدف فاجتمع المجمع المقدس. وكانت الوثيقة معدة سلفاً تنتظر التصديق، وتم كل شيء فى بساطة عجيبة، وذهب مندوب الكنيسة القبطية ليقدم وجهة نظرنا، ولكن ضاع صوته فى ضجيج المجمع، وصدر القرار.

شاب 1: لماذا تفترض التآمر فى كل شيء. إن الكنيسة الكاثوليكية تدعو إلى التسامح مع جميع الأديان حتى الهندوكية والبوذية، فلماذا تتحدث أنت عن الصهيونية والإمبريالية؟

الراوى: الإعلان وراءه أهداف سياسية. فاليهود لا يتعرضون لأى اضطهاد الآن ولكنهم يحتلون أرضنا ويعتدون علينا من وقت لآخر كما فعلوا فى العدوان الثلاثى سنة 1956. فإسرائيل تريد التبرئة من جريمة قديمة لتتفرغ لارتكاب جرائم جديدة فى أرضنا العربية.

شاب 1: أنت تشكك فى كل محاولة للتفاهم بين الناس وتحملها أغراضا سياسية.

الراوى: الأمر هنا لا يقوم على افتراض. فقد سبق ذلك جهود ومحاولات بذلتها الأجهزة الخفية لاستمالة كبار الكرادلة المعارضين لهذه للوثيقة، ودعونى أعرض لكم الأدلة.

شاب 2: دعنا من هذا. لماذا تشغلون أنفسكم بهذه الأمور الجانبية وتتركون جوهر الموضوع.

الكورس: وما هو جوهر الموضوع؟

شاب 2: صلب المسيح. فهيا معى نفحص هذه القضية، ونحدد من هم الذين صلبوه. وهل اليهود اليوم مسئولين عن هذه الجريمة؟

الراوى: وكيف تريدنا أن نحقق ذلك؟

شاب2: بأن نجرى محاكمة للمتهمين، وهذا يساعدنا على دراسة الوقائع فى ضوء العقل والتاريخ.

شاب1: والكتب المقدسة.

شاب 2: طبعا، الإنجيل هو المصدر الرئيسى فى القضية.

الراوى: حكم الإنجيل واضح لا يحتاج إلى تفنيد.

شاب 1: المحاكمة ضرورية لإضاءة الجوانب الدينية والإنسانية والاجتماعية أيضا.

الكورس: هذه خطوة هامة فى سبيل كشف الحقائق وتحقيق التفاهم بين الشعوب.

الراوى: فلنبدأ المحاكمة.

(يتغير الضوء وتظهر قاعة المحكمة)

المشهد الأول

من اليمين وفى مكان مرتفع من خشبة المسرح يجلس ثلاثة فى أرواب القضاة. فى الوسط يجلس القاضى، وعلى يمينه ممثل الادعاء. أما عضو اليسار فيقوم بدور مستشار الأمور اللاهوتية.

فى الجانب المقابل وعلى مستوى منخفض قليلاً يجلس قيافا شيخ كهنة إسرائيل فى عهد المسيح، وهو شيخ فى حوالى السبعين يشبه بن جوريون إلى حد كبير. وبالقرب منه إلى الوسط من المسرح يجلس بيلاطس البنطى، رجل طويل القامة قوى البنية واضح الصوت فى الخمسين تقريبا، وإلى جواره زوجته الجميلة كلوديا، فى حوالى الثامنة والثلاثين. وهى سيدة أنيقة المظهر، حلوة الصوت، رومانية الملامح والقامة مثل زوجها.

إلى الخلف منهم وفى وسط المسرح يجلس يهوذا الاسخريوطى على مقعد وفوق رأسه توجد مشنقة يتدلى منها حبل حتى إذا انتهى من الإدلاء بشهادته عاد يشنق نفسه بهذا الحبل..

يتوارى الراوى ويسلط الضوء فى الخلفية على صورة كبيرة للمسيح المصلوب ومن الأفضل أن تظهر على شاشة سينمائية، ثم تظهر هيئة المحكمة فالمتهمون. يظل المتهمون جالسين فى أماكنهم، فإذا نودى على أحد منهم وقف وتقدم من منصة القضاء، ويظل الباقون ينتظرون أدوارهم.

موسيقى:

القاضى: فتحت الجلسة. نادى على المتهم الأول.

المدعى: المتهم قيافا. تقدم **(قيافا يتحرك نحو المنصة)**

القاضى: اسمك بالكامل؟

قيافا: قيافا بن حزقيال

القاضى: سنك؟

قيافا: فى حوالى السبعين أو أقل قليلاً

القاضى: وظيفتك؟

قيافا: فى الوقت الحاضر طبعاً

القاضى: فى الحاضر وفى الماضى أيضاً

قيافا: حالياً أعمل خبازاً فى جهنم

القاضى: وفى الماضى

قيافا: تنقلت فى عدة وظائف من صراف إلى عشار إلى كاهن ثم أخيراً رئيس لكهنة وشيوخ بنى إسرائيل.

المدعى: فى زمن المسيح طبعا؟

القاضى: **(يلتفت إلى المدعى)** اقرأ عليه التهمة

المدعى: يا قيافا بصفتك رئيس كهنة إسرائيل ومجلس شيوخهم فأنت المسئول الأول عن جريمة صلب المسيح

قيافا: غير صحيح يا سيادة القاضى

القاضى: ألست مذنباً؟

قيافا: لا ذنب لى فى هذه الجريمة

المدعى: من المسئول إذن عن هذه الجريمة؟

قيافا: المسئول هو بيلاطس البنطى الحاكم الرومانى لليهودية

المدعى: ألم تكن شريكاً له فى الجريمة؟

قيافا: ولم أشترك معه فى أى عمل أبداً.

القاضى: طيب، نسمع أقوال بيلاطس الآن.

(بيلاطس يتقدم أيضاً نحو المنصة)

المدعى: اسمك بالكامل؟

بيلاطس: بيلاطس البنطى، رومانى الأصل والمولد

المدعى: وظيفتك؟

بيلاطس: الحاكم الرومانى على اليهودية فى زمن المسيح. كنت أخدم الإمبراطور الرومانى وأشرف على مصالح الإمبراطورية فى أورشليم.

القاضى: ما قولك يا بيلاطس فى التهمة الموجهة إليك؟

بيلاطس: أنا برئ من هذه التهمة، كما أنه لم يكن من عادتى القتل وسفك دماء الأبرياء

قيافا: يالك من وغد جرىء؟؟ **(فى حركة مسرحية)** اسمعوا يا سادة: يقول إنه لم يكن من عادته القتل وسفك الدماء! إذن، من الذى أقام حمامات الدم وذبح الجليلين ثم مزج دمائهم بدماء الخراف؟؟

بيلاطس: لم تكن دماء بريئة يا قيافا، وأنت تعرف الفرق طبعاً. فالقضاء على فتنة الجليليين ومؤامراتهم الخسيسة كان ضرورة ملحة تمليها ضرورات الأمن وحماية الإمبراطورية!!

قيافا: فلماذا لا يكون قتل المسيح ضرورة من ضرورات الأمن أيضاً؟

بيلاطس: هذه مغالطة طبعاً. فالأمر يختلف تمام الاختلاف. فلم يكن المسيح خطراً على الأمن كما تزعم بل كان خطره الحقيقى على مصالحكم الطبقية. **(ثم ينظر إليه بغضب)** لكن كيف يتحول مجرم مثلك إلى مدعى يوزع الاتهامات؟

المدعى: هذه حيلة صهيونية حاذقة تستهدف صرف أنظار الجماهير عن موضوع المحاكمة الحقيقى حتى تضيع معالم القضية

القاضى: كفى. سكوت **(يلتفت إلى المدعى)** أكمل

المدعى: (يخاطب بيلاطس) إذن من المسئول عن جريمة صلب المسيح؟

بيلاطس: إن قتلة المسيح الحقيقيون يا سادة هم مجلس الكهنة والشيوخ وعلى رأسهم قيافا هذا. إنه هو الذى أعلن أن المسيح يجب أن يموت بسبب تجديفه على الله.

القاضى: يمكن أن ترد الآن يا قيافا.

قيافا: ليأذن لى سيدى القاضى بتوجيه بعض الأسئلة إلى بيلاطس

القاضى: تفضل على أن تكون أسئلتك فى صميم الموضوع.

قيافا: من الذى أمر الجند بصلب المسيح؟ أنت يا بيلاطس أم أنا؟

بيلاطس: أنا طبعاً، لكن ذلك كان إجراء تنفيذياً محضاً وهو واجبى كقائد للقوات الرومانية.

قيافا: يكفينى هذا الاعتراف الآن.

بيلاطس: مهلاً يا سيد قيافا، فهذا ليس اعترافا منى بل هو دليل على جريمتك. فلا تنسى أن هؤلاء الجنود الذين قبضوا على المسيح وجروه فى الشوارع كانوا من أبنائكم.

قيافا: قطعا لا. لقد كانوا من السوريين وعلى رأسهم قائد المائة الرومانى.

بيلاطس: هؤلاء الجنود السوريون كانوا يحافظون على الأمن والنظام فى أورشليم. كانت التعليمات الصادرة إليهم هى منع الغوغاء الذين جمعتهم حولك من التجمهر وإحداث الفوضى. لقد قمت أنت باستنفار الغوغاء لكى يساعدوا حراس المعبد فى القبض على المسيح، وهؤلاء هم الذين كانوا يضربونه ويجرونه فى الشوارع. هل تتكر يا قيافا أنك كنت تقودهم جميعا وتوجههم؟

المدعى: اسمح لى أن أسألك بصفتك حاكم الولاية، ألم يكن لك حق الاعتراض على حكم مجلس الشيوخ والكهنة؟

بيلاطس: لقد اخترنا أن نترك لهم أمور القضاء والشرع يمارسونها حسب الناموس اليهودى أى حسب شريعتهم.

المدعى: ما هو دورك إذن فى الحكم؟

بيلاطس: مجرد تنفيذ الحكم.

قيافا: هذه شجاعة من بيلاطس. أرجو من المحكمة تسجيلها فى محضر الجلسة.

القاضى: نسجلها؟ لكن ما هى الشجاعة التى تقصدها؟

قيافا: اعترافه بتنفيذ حكم الصلب.

القاضى: انه يقر بهذا ولا ينكره، ويقر أيضاً أنك المسئول الأول عن الحكم

قيافا: هذا محض افتراء. وهل هناك عاقل يجوز عليه هذا القول – كيف يكون حاكم المستعمرة وممثل الإمبراطور مجرد أداة تنفيذ فى يد الشعب المغلوب على أمره؟

بيلاطس: كما أنك شهدت لى بالشجاعة فإننى أشهد لك بالخسة والنذالة من أجل هذا الكلام الذى تقوله. ثم كيف تنكر حقائق التاريخ الثابتة؟ فأنا لا أنكر أننى كنت حاكم المستعمرة وممثل القيصر لكننى لم أتدخل فى شئونكم الداخلية خصوصاً ما يمس مشاعر الشعب اليهودى وعقائده.

قيافا: هل تظن أن الناس يمكنهم أن يصدقوا هذا؟ وهل كان من عادة المستعمرين فى الماضى أو فى الحاضر الحرص على تراث الشعوب وعقائدها؟!

بيلاطس: يالك من غوغائى جبان. لماذا تعمم فى الأمور بهذه البساطة. ليس من عادة المستعمرين هذا طبعاً لكننا رأينا أنه من مصلحتنا أن نترك لكم هذه الأمور تنشغلون بها حتى نتفرغ لجباية الضرائب والجزية، وحماية حدود الإمبراطورية، ألا تسكت بعد هذه المبررات؟

قيافا: يا للبراعة الميكافيلية! تركت حقائق التاريخ سريعاً لتتكلم عن المبررات؟

بيلاطس: ذكرت هذه المبررات مكرهاً لكى أجبرك على الصمت وأظن أن المحكمة تقتنع الآن أننا لم نترك هذه الأمور لقصور فى التقدير بل لكى نريح أنفسنا مما يسبب المتاعب ويشعر الشعب بوطأة الحكم الأجنبى..

القاضى: هذا تبرير مقنع تقبله المحكمة، فما قولك فى الجزء الخاص بتنفيذ الجريمة؟

بيلاطس: اعترضت على صلب المسيح، وعرضت عليهم أن أطلق سراحه فى عيد الفصح فرفضوا وقالوا: اصلبه وأطلق لنا باراباس.

القاضى: من هو باراباس هذا؟

بيلاطس: مجرم يهودى كان مسجوناً مع المسيح بسبب جريمة قتل سياسى. وكان من عادة اليهود أن نطلق لهم سجيناً فى عيد الفصح. ولما كنت حائرا فى أمر المسيح ولا أجد علة للقبض عليه أو إبقائه فى السجن فكرت فى إطلاق سراحه فعلاً. لكنهم جمعوا سفلة اليهود وحاصروا دار الولاية وهم يصيحون اصلبه، اصلبه. وأطلق لنا باراباس.

القاضى: من الذى قام بجمع السفلة وتحريضهم.

بيلاطس: قيافا طبعا ومجلس كهنته وشيوخه (يلتفت إليه قيافا) أظنك لا تجرؤ على إنكار هذا يا شيخ قيافا؟

قيافا: الجماهير لا عقل لها يا سادتى القضاة، وقد اندفعوا تلقائياً بدافع اللحظة، يحركهم الخوف على تراثهم وتقاليد حياتهم، لم أحرضهم كما يزعم بيلاطس وكل ما فى الأمر أنى جاريتهم فى تلك اللحظة.

بيلاطس: لا تكذب يا قيافا، فأنت الذى تقدمت الكهنة والشيوخ وقلت أصلبه، دمه علينا وعلى أولادنا من بعدنا. هذا الهتاف الذى رددوه وراءك مرات عديدة كان من صنعك.

قيافا: المهم هو تنفيذ الحكم، أى القتل. وهذه مسئوليتك أنت ولولا أنك وجدت فيه مصلحة ما لما نفذته.

بيلاطس: وأى مصلحة لى فى هذا؟

قيافا: لا تراوغ يا لئيم، فأنت تعرف قصدى تماما. فهل كان يخفى عليك وأنت تقتله فكرة توازن القوى. هذه اللعبة التى يجيدها قساة الولاة والمستعمرون.

المدعى: المتهم قيافا يحاول الخروج عن الموضوع ليشغلنا بالكلام عن ألاعيب المستعمرين.

قيافا: لا ياسيدى! إنى أتكلم فى صلب الموضوع ويجب إعطائى فرصة كاملة للدفاع عن نفسى وإلا فإنى أطعن فى شرعية المحاكمة ونزاهتها.

القاضى: تكلم يا قيافا، ولك مطلق الحرية فى التعبير عن نفسك. **(وبلهجة ساخرة)** لا داعى للطعن فى المحاكمة بشرط ألا تخرج عن الموضوع.

قيافا: لعبة التوازن هى مفتاح السر فى هذه القضية، وأنتم تعلمون يا سادة أن بيلاطس البنطى كان والياً محنكاً يجيد أساليب الحكم ويتقن تدبير المؤامرات، ولهذا فإنه حاول أن يستغل وجود المسيح فى إحداث حالة من الشقاق تقسم الشعب اليهودى إلى قسمين ليتيسر له أمر إخضاعه. لكننا تنبهنا لهذه اللعبة الدنيئة وأحبطنا مؤامرته قبل تنفيذها.

بيلاطس: بقتل المسيح طبعاً! أرجو أن تتنبهوا لما يقول!

قيافا: (فى حدة) انتظر، لا تقاطعنى.

القاضى: انتظر يا بيلاطس وفى النهاية دافع عن نفسك.

قيافا: نعم، أحبطنا مؤامراته، فلم يكن خافياً على بيلاطس أن المسيح قد جمع حوله عدداً كبيراً من الفقراء والعبيد الذين لا يمتلكون شيئاً ولا يخافون على شىء، ثم بدأ يضللهم بكلمات رنانة عن الخلاص والحرية والحياة الأفضل.

المدعى: اخسأ يا قيافا ! كيف تجرؤ على اتهام المسيح بالتضليل؟

قيافا: لا أريد أن يقاطعنى أحد.

القاضى: ما صلة المسيح بلعبة التوازن والانقسام؟

قيافا: لا تقاطعنى أرجوك.

القاضى: ادخل فى الموضوع من غير لف ولا دوران وجاوب على سؤالى.

قيافا: كان من عادة المسيح أن يزدرى الشعب اليهودى ويهين شيوخه ويستفزهم. من أجل هذا بدأ الفقراء والعبيد يتجرأون علينا حتى أصبحت حياة المجتمع مهددة بالدمار.

المدعى: هل يمكنك أن تذكر وقائع معينة تثبت كلامك؟

قيافا: الوقائع كثيرة، خذ موضوع السبت مثلاً: هذا اليوم مقدساً عند اليهود لا يصنعون فيه شيئاً. وكان هو يسخر من ذلك ويقول: "جعل السبت من أجل الإنسان، لا الإنسان من أجل السبت" ثم يمعن فى إغاظة الشعب اليهودى ويجلس مع الخطاة والمرضى ويعلمهم ويشفيهم فى هذا اليوم.

المدعى: أهذا كل ما فى الأمر؟

قيافا: لا طبعاً. أنا أعطى أمثلة فقط. فى مرة ثانية دخل الهيكل وصنع حبلاً وضرب به الصيارفة – والعشارين وطردهم وهو يقول: "بيتى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة للصوص"

المدعى: لقد كان يردد أقوال كتابكم المقدس. أليس هذا من قبيل الحرص على قداسة معابدكم فأى استفزاز رأيتموه فى هذا؟

قيافا: كيف يا سيدى؟ إن هذا الكلام يحمل فى طياته تجديفاً على الله. كيف تأتى له أن يقول إن المعبد "بيته" فهل كان يملك المعبد حتى يقول ذلك؟ كيف يجرؤ على إتهام الصيارفة بأنهم لصوص والباعة بقطاع الطرق؟ – ومرة ثالثة يتهم الشيوخ بالفساد والغش والخداع.

المدعى: لو كانت ضمائركم حية لا نضممتم إليه وعرفتم أنه يريد تطهير قلوبكم ومجتمعكم من أمراضه المستعصية.. ولكن!

قيافا: لكن سلوكه هذا شجع العبيد والفقراء بدرجة هددت حياة الشعب وأمنه مما لا يمكن السكوت عليه. فهل نسكت عن فتنة خطيرة تنذر بتدمير المجتمع ومصالحه العليا؟

القاضى: فتنة خطيرة، كيف؟

قيافا: لقد تنبأ بوقوع الكوارث، وتنبأ بخراب الهيكل وانهياره بحيث لا يبقى فيه حجر على حجر. ثم يقول إنه قادر أن يقيم بناءه بعد ثلاثة أيام. هل هناك أخطر من هذا التجديف؟ ولهذا استحق الموت.

القاضى: كان يمكنكم أن تناقشوه وأن تفهموا ما كان يعنيه بدلا من جلده وتعذيبه. لكن المهم أن تعود الآن إلى ما كان بينك وبين بيلاطس من مكائد وتوازنات.

المدعى: وضح يا قيافا ما تعنيه بلعبة التوازن وموقف بيلاطس. وهو ما يهم المحكمة الآن.

قيافا: مهلاً يا سادة. كان بيلاطس بذكائه المعهود وبراعته العجيبة يريد أن يترك الأمور تسير سيرها الطبيعى وكأنه لا يدرى، بغية أن يستفحل الخطر وتنفجر ثورة العبيد والفقراء فتعصف بكيان المجتمع وتدوس قيمه العظيمة ثم تقضى على قياداته الشرعية. بعدها يسهل عليه حكم هذا الشعب العريق وإذلاله.

المدعى: هل تعتقد أنه كانت هناك ثورة حقيقية توشك على الانفجار؟ أم أن هذه مجرد مبالغات منك يا سيد. قيافا؟ ثم من هو قائد الثورة المنتظرة؟

قيافا: يا سلام! المسيح طبعاً! هل تستكثر عليه ذلك؟ وماذا كنا ننتظر من إنسان يعلن فى كل وقت أنه جاء لتحرير العبيد والمأسورين.

المدعى: لكن السجلات جميعها تؤكد أن المسيح أعلن مرارا وتكرارا أن مملكته ليست من هذا العالم. ليست مملكة أرضية.

قيافا: كل هذا الكلام الذى كان يردده عن مملكة ليست من هذا العالم ما هو إلا تلاعب بالألفاظ، قصد به أن يضللنا. وإذا لم يكن ذلك

قصده، لماذا كتب بيلاطس "ملك اليهود" ووضع هذه العبارة على الصليب.

المدعى: هل رأيتم فى تعاليمه دعوة للتخريب؟

قيافا: وأى تخريب يا سيدى، أن تعد الناس بملكوت لا يدخله سوى الفقراء والمساكين والعرج والعمى والبكم. ثم يحرم على الأغنياء دخول هذا الملكوت؟ أليس فى هذا تحريض على الحرب الأهلية والقضاء على نظام الطبقات؟ هل هناك تخريب أخطر من هذا؟؟ وكيف تستقر الأمور فى مجتمع تتساوى فيه الرؤوس لا فرق فيه بين السادة والعبيد؟ من الذى يحكم؟ ومن الذى يخدم وينتج إذن؟

المدعى: وهل تعتقد أن بيلاطس كانت له علاقة مباشرة مع المسيح؟ أو أتباعه؟

قيافا: لا طبعاً

المدعى: وكيف كان يمكنه أن يستفيد من هذه الثورة؟ وهل كنت تظن أن مثل هذه الثورة لو نجحت سوف تسكت عن الحكم الرومانى الغريب واحتلاله لفلسطين؟

قيافا: لم اكن أظن ذلك. لكن المشكلة الأولى التى كانت تواجه بيلاطس هى صلابة المجتمع اليهودي – فأراد لها أن تتفتت أولاً. بعد ذلك يتهيء لمواجهة الحكم الجديد. وربما أمكنه أن يركب الموجة ويطويها لصالحه. فمن كان يدرى؟

القاضى: انتهيت من كلامك؟

قيافا: نعم!

القاضى: ما تعليقك يا بيلاطس على هذه الأقوال؟

بيلاطس: سيدى الرئيس. لقد كشف السيد قيافا عن لعبتى ببراعة منقطعة النظير. ولكنه نسى نقطة هامة وجوهرية: وهى كيف قضى على مؤامرتى؟ ماهى الوسائل التى استخدمها فى إخماد هذه الثورة قبل أن تنفجر؟

قيافا: الفضل الأكبر فى ذلك يرجع إلى وعى الشعب اليهودى وحسه المرهف! فقد تنبه للمؤامرة واخذ المبادرة من يد المخربين فقامت الجماهير بإلقاء القبض على المسيح وسلموه لمجلس الشيوخ والكهنة الذى قام بمحاكمته!

المدعى: إذن فأنت تقر بان مجلس الشيوخ والكهنة مسئولين عن هذا الحكم؟

قيافا: نعم أقر ذلك. إن بيلاطس تخاذل عن القيام بواجبه وعرض حياة المجتمع للخطر!

المدعى: ما علينا الآن من بيلاطس. لكنك كنت رئيساً لذلك المجلس. وبهذا تكون المسئول الأول عن الحكم الذى صدر ضد المسيح.

قيافا: نعم كنت رئيساً للمجلس، لكن القرارت كانت تصدر بالأغلبية المطلقة، ولم يكن لرئيس المجلس سوى صوت واحد فقط.

المدعى: نفهم من هذا أن جميع أعضاء المجلس كانوا مسئولين عن المحاكمة والحكم؟

قيافا: عن المحاكمة فقط.

القاضى: والحكم؟

قيافا: الحكم صدر تحت ضغط شديد مارسته الجماهير التى كانت تتجمع حول المجلس وهذه الجماهير هى التى أملت علينا الحكم وأرغمتنا على إصداره.

القاضى: وكيف أرغموكم على إصدر هذا الحكم؟

قيافا: كانوا يهددون بالهجوم على المجلس وقتل أعضائه.

القاضى: هل انتهيت من أقوالك؟

قيافا: أكتفى بهذا الآن!

بيلاطس: أريد مناقشته فى هذا الكلام الملىء بالكذب والتضليل.

القاضى: اتفضل، ولقيافا حق الرد.

بيلاطس: هناك نقطة خاصة بإجراءات القبض على المسيح أريد توضيحها.

القاضى: أية نقطة تقصد؟

بيلاطس: لقد كشف السيد قيافا عن مؤامرتى ببراعة تامة ولكنه لم يذكر شيئا عن الأساليب الخسيسة التى استخدمها فى القبض على المسيح.

القاضى: هذه نقطة هامة جدا. تكلم..

بيلاطس: قال السيد قيافا إن الشعب تنبه بوعيه العميق لما يحاك له وأن الجماهير هى التى قبضت على المسيح وسلمته لهم. هذا غير صحيح. والواقع أن مجلس الشيوخ وعلى رأسه قيافا هذا قد مارس أحط الأساليب فى القبض على المسيح ومحاكمته.

قيافا: عاد المتهم لتوجيه الإهانات إلى مجلس شيوخنا الموقر.

المدعى: إنه يصف الوسائل لا الأشخاص. ولا حرج عليه فى ذلك.

قيافا: وهل تنفصل الوسائل عن الأهداف أو عمن يمارسونها؟

المدعى: سؤال أتركه لكى تجيب أنت عليه.

القاضى: أكمل يا بيلاطس.

بيلاطس: ألم يذكر فى كلامه أن العبيد والفقراء قد التفوا حول المسيح بأعداد كبيرة. وإحقاقا للحق أقول إنهم لم يكونوا مضللين كما زعم قيافا بل إنهم كانوا يؤمنون بأن المسيح هو المسيا الذى سوف يقودهم الى الخلاص من الرق والاستغلال. ولعل هذا ما افزع قيافا ومجلس شيوخه ودفعهم للتآمر عليه، فقيافا هو الذى جمع حراس المعبد واستأجر بعض البلطجية واللصوص للقبض على المسيح بمعونة يهوذا الإسخريوطى.

القاضى: من هو يهوذا الإسخريوطى؟

بيلاطس: أحد تلاميذ المسيح المقربين ولكنه كان طموحا فخان معلمه مقابل ثلاثين من الفضة أخذها من الشيوخ.

المدعى: وما دور يهوذا بالتحديد فى هذه المهمة؟

بيلاطس: كانت مهمته هى أن يدلهم على شخص المسيح. لقد أقنعه قيافا بأن يقود الحراس والغوغاء إلى المكان الذى كان فيه يسوع لكى يتمكنوا من القبض عليه.

قيافا: اسمعوا أكاذيبه يا سادة! يقول بيلاطس كانت مهمة يهوذا أن يدلهم على المسيح. هل كان التعرف على المسيح يحتاج إلى دليل؟ ألم تقل الآن أنه كان ذا شعبية كبيرة؟

بيلاطس: أقصد أن الذين استأجرهم الشيوخ للقبض عليه كانوا من الأشرار والخارجين على المجتمع الذين لم يروا المسيح من قبل، واشتراهم الشيوخ بالرشوة مثل يهوذا.

قيافا: أنا لا علم لى بموضوع الرشوة هذا.

القاضى: نسمع أقوال يهوذا. انتظر يا قيافا.

(يتقدم يهوذا نحو منصة القضاء)

القاضى: هل سمعت هذه الأقوال التى ذكر فيها اسمك؟

يهوذا: بل سمعت جميع الأقوال التى جرت على ألسنتهم منذ بداية الجلسة إضافة إلى أننى كنت شاهد عيان لكل ما جرى مع المسيح.

القاضى: عظيم. عليك أن توضح للمحكمة تلك النقطة الخاصة بإجراءات القبض على المسيح.

يهوذا: كنت أحد تلاميذ المسيح المقربين. وحين بدأ الشعب يستمع إلى تعاليمه ويهتم بها ازداد قلق الشيوخ والكهنة وبدأوا يشككون فى أغراضه ونواياه. وعندما رأوا المسيح يشفى المرضى ويفتح عينى الأعمى ويقيم الموتى إزداد قلقهم وقرروا قتله.

المدعى: ولماذا؟ وما الضرر فى شفاء المرضى وإقامة الموتى؟

يهوذا: لقد اكتسب المسيح بهذه الأعمال اعترافا عظيما ومكانة عالية عند الناس، ومن ثم بدأ الشيوخ يشكون فى نواياه، وقرر قيافا قتله قائلا إنه يدنس يوم السبت بصورة مستمرة ويستحق الموت بسبب هذا التجديف.

المدعى: وما الذى حدث بعد ذلك؟

يهوذا: بدأ الكهنة ينشرون الإشاعات والأكاذيب التى رحت أنا ضحية لها.

المدعى: ما الذى كانوا يقولونه؟

يهوذا: قالوا إنهم سيقتلون المسيح أولاً ثم يحاصرون تلاميذه جميعا ويرجمونهم فوقعت فى الحيرة والبلبلة. عندئذ بدأوا يعرضون على المال ويعدوننى بالحماية إذا ساعدتهم. وقد قاومت فى البداية ولكننى لم أستطع أن أقاوم حتى النهاية فسقطت فى قبضتهم.

المدعى: ما هو دورك بالتحديد؟ ومن حدده لك؟

يهوذا: دورى حدده أعضاء مجلس الشيوخ وعلى رأسهم قيافا هذا. أقنعونى بأن الأمر ليس جريمة. ويكفى أن أدل جماعة الجنود واللصوص على شخص المسيح حتى يميزوا بينه وبين بقية التلاميذ.

المدعى: كيف؟

يهوذا: بأن أصافحه واقبله حين أراه فيعرفونه ويقبضون عليه.

المدعى: ألم يكن مع المسيح أحد من تلاميذه؟

يهوذا: كان معه عدد قليل منهم. وقدهبوا للدفاع عنه بالسيوف لكنه منعهم قائلاً من يأخذ بالسيف بالسيف يهلك.

المدعى: ألم تحدث اصابات أو حوادث أخرى؟

يهوذا: هجم سمعان بطرس تلميذ المسيح على عبد رئيس الكهنة وقطع أذنه اليمنى. وأخيراً انصاع جميع التلاميذ للمسيح وتركوه يسلم نفسه للجند واللصوص الذين سخروا منه واستهزأوا به.

بيلاطس: هناك كلمة هامة وردت على لسان يهوذا أرجو أن تأمره بتوضيحها.

القاضى: أى كلمة تقصد؟

بيلاطس: جاء فى أقواله أن سمعان بطرس تلميذ المسيح قد هجم على عبد رئيس الكهنة وقطع أذنه. فمن هو هذا العبد وما اسم رئيس الكهنة الذى يتبعه؟

يهوذا: كان اسم العبد ملخس، أما رئيس الكهنة فهو قيافا.

بيلاطس: أليس هذا دليلا كافيا على اشتراك قيافا الفعلى فى ارتكاب الجريمة؟ وهل ذهب عبده فى هذه المهمة الخطيرة إلا بإذن منه؟ ثم إن أقوال يهوذا تدحض كذب قيافا، وتقرر أن الجماهير لم يكن

لها أى دخل فى القبض على المسيح، وإنما هم قيافا وشيوخ الكهنة الذين استأجروا الجند واللصوص ليمسكوه.

المدعى: ومن أين جاءوا بالجند؟

بيلاطس: كانوا يعملون عندهم حراسا للمعبد. وهذا دليل آخر على اشتراكهم الفعلى.

المدعى: لقد وضح الأمر الآن ولم يعد بنا حاجة لمزيد من الشهود.

بيلاطس: وهكذا نرى يا سادة أنهم امسكوه وعذبوه ثم حاكموه وأسلموه إلى لتنفيذ الحكم.

قيافا: ونفذته أنت طبعاً. **(يلتفت للجمهور ويرفع صوته)** نفذه يا سادة. أحس أن شعبية المسيح قد أصبحت خطراً عليه وعلى نظام الإمبراطورية.

المدعى: عاد المتهم قيافا للعب بالكلمات والتعبير بطريقة مسرحية.

بيلاطس: طريقة عريقة وماكرة تهدف إلى إثارة البلبلة والتعتيم على الحقائق..

قيافا: ليس من حق بيلاطس أن يوجه إلى الإهانة فى ساحة المحكمة.

القاضى: كفى جدالا، وسوف تضع المحكمة هذا كله فى اعتبارها ونحن نتداول القضية. وعندما تعود الجلسة للانعقاد سيقوم المدعى بمناقشة هذه الأقوال وحصر التهمة وتحديد مرتكبى الجريمة. والآن ترفع الجلسة للاستراحة.

المشهد الثانى

خلال الاستراحة يبقى المسرح خاليا إلا من كلوديا زوجة بيلاطس التى تتفرج على المكان حولها. وهنا نرى شابة فاتنة الجمال تفيض حيوية وأنوثة هى ماريانا رابين، التى تدخل متسللة وهى تخطر فى مشية هادئة. تتلفت حولها ناحية الجمهور ثم إلى خلفية المسرح نحو المتهمين المنسحبين وأخيرا تقف على مقربة من كلوديا!

ماريانا: أوه! ما توقعت أن أرى سيدة مصرية تتمتع بهذه الأناقة وهذا الجمال!

كلوديا: أشكرك على إطرائك ولكننى لست مصرية.

ماريانا: ومع ذلك فأنا سعيدة بلقائك. فأنا ماريانا رابين، وأنت؟

كلوديا: كلوديا كلوديوس زوجة بيلاطس البنطى.

ماريانا: وأنا صحفية من إسرائيل.

كلوديا: جئت هنا مع زوجى لحضور هذه المحاكمة.

ماريانا: ولتشهدى معه طبعا؟

كلوديا: وكيف عرفت ذلك؟

ماريانا: هذا لا يحتاج إلى كثير من الذكاء.

كلوديا: يسرنى أن أعرف المزيد عنك.

ماريانا: **(تقترب منها)** بكل سرور على أن يبقى الأمر سرا بينى وبينك.

كلوديا: بالتأكيد. يمكنك أن تثقى بى.

ماريانا: أنا مندوبة الوكالة اليهودية. جئت إلى هنا خلسة لكى أشهد إجراءات المحاكمة وأقدم وجهه نظرنا فى القضية.

كلوديا: (مندهشة) وهل تعمل السيدات عندكم بالسياسة؟

ماريانا: نعم. ألا تعرفين أن رئيس وزراء إسرائيل سيدة قوية هى جولدا مائير.

كلوديا: جئنا من الآخرة رأسا على القاهرة. ولم نسمع عنكم شيئا من هذا القبيل بل سمعنا أنكم لا تصلحون إلا للترفيه عن الرجال.

ماريانا: يبدو أنك قد شاهدت مسرحية "وطنى عكا" فى المسرح القومى.

كلوديا: مدهش! وكيف عرفت ذلك؟

ماريانا: نحن نقرأ عنهم كل شىء. شعرهم وقصصهم ومسرحياتهم وكل ما يكتبون فى الفكر والسياسة والاقتصاد.

كلوديا: إلى هذا الحد تهتمون بهم؟

ماريانا: بل أكثر من ذلك ندرس عاداتهم وتقاليدهم واحتفالاتهم حتى حفلات الزار التى يقيمونها فى قراهم.

كلوديا: ولماذا هذا الاهتمام؟ هل يهتمون هم أيضا بكم؟

ماريانا: هم لا يعترفون بوجودنا أصلا، ويطلقون على بلدنا وصف "إسرائيل المزعومة" وبالتالى يرفضون أن يعرفوا شيئا عما نكتب أو نفعل ويكتفون بما فى أذهانهم عنا :صورة جاهزة من مئات السنين، نساؤنا عبارة عن مجموعة من الراقصات والعواهر ورجالنا نصفهم سكير والنصف الآخر يبيع الخمر.

كلوديا: وما سر موقفهم هذا؟

ماريانا: انه موقف غريب أن يقاطعوا كل ما نكتب ثم يدعون أنهم يحمون الشعب من الدعايات المخربة.

كلوديا: آه. فهمت لكن الدعاية عملية خطيرة طبعا.

ماريانا: الخوف من الدعاية لا يبرر عدم المعرفة. ونحن نخاف من دعايتهم. لكن أقوى سلاح ضد الدعاية هو وعى الشعب وعلمه ببواطن الأمور.

كلوديا: قد يكون لكم غرض آخر من الاهتمام بهم؟

ماريانا: صداقتهم أولاً وإذا لم يكن ففى حالة العداء تصبح المعرفة أكثر لزوما.

كلوديا: لماذا لم يتعلموا منكم هذا؟

ماريانا: هوه! ليس من السهل على عدو بهذه العقلية أن يتعلم من عدوه المتقدم كل فنونه وأساليب حياته بالإضافة إلى أن ذلك يأخذ وقتاً.

كلوديا: ربما لا يحتاجون هذه المعرفة.

ماريانا: أبداً. إنهم متعصبون واهمون لا يرون الأمر الواقع ولا يعترفون به. إنهم يعيشون فى خرافات الماضى والعصور الوسطى.

كلوديا: كفى أرجوك. أخشى أن تجرينى للتورط فى السياسة (ثم تلتفت حولها) وأنا ضيفة هنا.

ماريانا: أجل. وأنا ضيفة أيضا لكننى نسيت نفسى. هوه! إن هيئة المحكمة قادمة.

(يدخل أعضاء المحكمة إلى أماكنهم وكذلك المتهمون)

القاضى: (للمدعى) ناقش المتهمين.

ماريانا: (تتقدم بسرعة نحو المنصة) انتظر قليلاً. انتظروا قليلاً يا سادة. من فضلكم، أريد أن أتكلم.

القاضى: من أنت. وما شأنك بهذا الأمر؟

ماريانا: ماريانا رابين، صحفية من إسرائيل. مندوبة جمعية الصداقة اليهودية.

القاضى: وكيف جئت إلى هنا؟

ماريانا: بالطائرة طبعاً.

القاضى: **(يحاول أن يمنع ابتسامة)** أقصد كيف دخلت المحكمة؟

ماريانا: تسللت من الباب الخلفى أثناء الاستراحة.

المدعى: أنا أشك أن تكون هذه مندوبة لإسرائيل.

ماريانا: لا تشغل نفسك بالشكوك. أنا صحفية إسرائيلية. جئت هنا لتغطية هذا الحدث الهام ونقل أخباره إلى إسرائيل وإلى العالم كله.

القاضى: إذا كنت حريصة إلى هذه الدرجة على عرض وجهة نظركم، لماذا لم تطلبى تصريحاً بذلك؟

ماريانا: علمنا فى آخر لحظة، ولم يكن لدينا وقت لإضاعته فى طلب السماح.

القاضى: وكيف جرؤت على التسلل إلى هنا دون إذن؟

ماريانا: لا تسلل ولا شىء. ألم تعلنوا أن المحاكمة علنية؟ وأن القضية يعاد الحكم فيها لحساب التاريخ والإنسانية؟

القاضى: قلنا ذلك.

ماريانا: أنا واحدة من الإنسانية المقصودة. وهل من حقكم أن تكتبوا التاريخ من وجهة نظركم فقط؟ إن جمعية الصداقة اليهودية هى من أكبر الهيئات الدولية الممثلة لليهود ومن حقها أن تقدم وجهة نظرها فى هذه المحاكمة التاريخية. ألسنا طرفاً فى هذه القضية؟

القاضى: هذا أشكال عجيب!

ماريانا: يا شيخ لا تضيع وقتك فى الإشكالات.

القاضى: إن هذه المحكمة قد شكلت لكى يسمع العالم الحر صوت الضعفاء والمقهورين لا صوت الأقوياء الذين يمارسون القهر والاضطهاد!

ماريانا: ألم نتعرض نحن اليهود لأشد أنواع القهر والاضطهاد؟.

القاضى: هذا ليس من شأننا.

ماريانا: كيف وأنتم ترفعون صوت المقهورين أن تتجاهلوا ما حدث لنا من تعذيب وحرق فى أفران الغاز النازية؟

القاضى: لا تأخذينا بعيدا عما بين أيدينا من أمور.

ماريانا: هذا صحيح كما ترى سيادتكم. ففى هذه اللحظة أنا هو الأمر الواقع بين أيديكم. إننى واقفة هنا أمامكم حقيقة مؤكدة لابد من التعامل معها بنزاهة تامة.

القاضى: الأمر الواقع مرفوض إن كان قد بنى على إجراء باطل فوجودك هنا غير قانونى ودون تصريح رسمى.

ماريانا: أوافقكم على ذلك. لكننى لم أقصد إلى استعمال وسائل مزيفة. لقد كان من المستحيل الدخول عن طريق القنوات العادية. لكن أنا هنا واقع لا يمكن انكاره ومن سلطة سيادتكم أن تحسم الأمر الآن، وأن تحكم فى هذه المسالة الخلافية. فالعقل والحكمة لابد أن يلعبا دورهما.

القاضى: هذه مغالطات. فالهدف مرتبط بالوسيلة المحققة له، وعليك أولا أن تعتذرى لهيئة المحكمة عن دخولك دون إذن حتى أجد من اللياقة أن نناقشك ونسمع لك.

ماريانا: العذر موجود وهو أننا لم نسمع عن المحاكمة إلا فى الساعات الأخيرة ولم يكن من المتيسر التفاوض فى أمر الحضور.

القاضى: أرجو من المحكمة أن تقبل هذا العذر مؤقتا. لنعطى للعالم دليلا جديدا على ثقتنا فى عدالة قضايانا واستعدادنا للدفاع عنها وسماع رأى الآخرين وتقديره.

المدعى: اعتذر عن مناقشة هذه المندوبة خشية أن تكون عميلة لمخابرات إسرائيل.

القاضى: أفهم أسباب رفضك وسوف يتولى زميلنا مستشار الأمور الدينية مناقشتها. وإننى كرئيس لهيئة المحكمة أرى إتاحة الفرصة لسماع هذه الشاهدة حتى لا يظن العالم أننا متعصبون منغلقون عن وجهة نظر الآخرين. مسز رابين هذه المحكمة قبلت اعتذارك.

ماريانا: أكرر اعتذارى لكل من أسأت لهم بدخولى المفاجىء **(تنحنى)** وأشكر لهيئة المحكمة هذه الروح العالية.

المستشار: يكفى هذا الآن وأجيبى عن هذا السؤال: هل عرفت تفاصيل المحاكمة وما جرى فيها؟

ماريانا: لا يهم هذا كثيرا فالمهم أن تسمع وجهة نظرنا.

المستشار: وكيف تكون لك وجهة نظر فى قضية لا تعرفين تفاصيلها؟

ماريانا: إن وجهة نظرنا تنبع أساسا من خط محدد مرسوم لتحقيق أهداف الشعب اليهودى فى الاستقرار والأمن وهذا يكفى. ثم أننا مقدرون تماما أهداف المحاكمة ونعرف ما تريدونه من وجهة نظركم.

المستشار: أتشرحين وجهة نظرنا أم وجهة نظركم؟

ماريانا: كلاهما.

المستشار: كيف؟

ماريانا: أليس هدف المحاكمة هو إثبات أن قيافا ومجلس الكهنة والشيوخ هم المسئولون عن جريمة قتل المسيح؟

المستشار: هذا صحيح. فما قولك؟

ماريانا: وهو صحيح من وجهة نظرنا.

المستشار: أتعترفون بذلك؟

ماريانا: نحن نعترف اعترافا كاملا بمسئوليته عن هذه الجريمة.

المستشار: إذن فأنت تتفقين مع هذه المحكمة؟

ماريانا: لا نختلف إلا فى مسالة واحدة.

المستشار: ما هى هذه المسألة؟

ماريانا: المسألة أننا نقر جريمة قيافا ومجلس الشيوخ والكهنة ولا شىء غير ذلك.

المستشار: لكن مسئولية الجريمة متوارثة فى الأولاد.

ماريانا: هل هذا معقول؟ كيف نصدق ذلك؟

المستشار: هذه ليست مسألة تعليلات عقلانية. بل أحكام إلهية.

ماريانا: كيف يكون هذا؟

المستشار: إنه قيافا هو الذى وضع هذا الحكم.

ماريانا: كيف ومتى؟

المدعى: **(مقاطعا)** لقد صاح مع الجماهير "أصلبه، أصلبه، أصلب المسيح. دمه علينا وعلى أولادنا. "

ماريانا: هذه حالة انفجار عاطفى ناتجة عن مشاعر اليأس الشديد. لقد شعر رئيس الكهنة أن المجتمع فى خطر ففقد السيطرة على نفسه.

المدعى: أليس القاتل يستحق اللعنة الأبدية؟

ماريانا: القاتل ربما؛ أو أى جماعة تتآمر للقتل؛ لكن قطرات الدم التى يسكبونها لا يمكن أن تستخدم لتلويث الأجيال التى لم تولد بعد! لقد تحمل شعبنا العذاب والطرد أجيالا بعد أجيال، لمئات من

السنين. وينبغى أن يكون هناك من يرفع صوت تلك الملايين من الرجال والنساء والأطفال الذين أحرقوا فى أفران الغاز النازية. لقد استنفدت اللعنة أغراضها مرارا وتكرارا على مر العصور.

المستشار: إن الأحكام الإلهية لا تستنفد أغراضها فى زمن معين أو فى جيل معين.

ماريانا: فى بعض الأحيان نقع فى الحيرة الكبيرة قلا نكاد نفهمكم أيها المسيحيون.

المستشار: كيف؟ إن فهمنا لا يحتاج إلى مجهود.

ماريانا: بل يحتاج إلى أعصاب قوية. فكيف يقول المسيح أحبوا أعداءكم وتعادوننا. باركوا لاعنيكم فتلعنوننا. وفى بعض لأحيان ترفضون حتى الصفح عنا.

المستشار: هذه مغالطة كبيرة. فنحن نملك الصفح عن أعدائنا الشخصيين. لكن بالنسبة لأعداء الله فلا نملك لهم صفحا.

ماريانا: الله ليس له أعداء. الله محبة! هذا ما قاله المسيح. أعداء الله عبارة غريبة غير معقولة. يكررها الإرهابيون الآن فى كل مكان. إنهم يعتبرون أنفسهم وكلاء الله على الأرض المكلفين بقتل الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال باسم الله، فكيف يسمح مسيحى لنفسه بتكرار هذه العبارة.

المدعى: **(مقاطعا للمرة الثانية)** آسف يا سيدتى، لقد أسأت فهمنا وفهم عقيدتنا. فنحن لسنا إرهابيين ونرفض الإرهاب وندينه بشدة. نحن نريد العدل. مغفرة الخطاه ليست من شأننا. إنها من سلطة الله الغفور.

ماريانا: هل يريد الله لعنة أبدية؟ ألا يقبل الله الخطاة؟

المستشار: يقبلهم طبعا حين يتوبون.

ماريانا: لكن الصفح هو بداية التوبة.

المستشار: العكس هو الصحيح. التوبة أولا ثم الصفح أو الغفران.

ماريانا: من وضع هذا الشرط؟

المستشار: وضعه السيد المسيح، وكان يوجه كلامه لكم.

ماريانا: أقدر أعرف ماذا قال؟

القاضى: طبعا **(فى هذه اللحظة يأتى صوت من بعيد يقول "هوذا بيتكم يترك لكم خرابا لا يبقى فيه حجر على حجر حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب).**

ماريانا: ما معنى هذا الكلام؟

المستشار: معناه أنه لن يقوم لكم كيان مستقر حتى تعترفوا بأن المسيح جاء من قبل الرب رسولا وتؤمنوا به.

ماريانا: نؤمن بالمسيح؟

المستشار: هذا شرط الخلاص. حتى تنتهى عزلتكم وتصيروا أخوة لكل الشعوب.

ماريانا: وينتهى الشعب المختار.

المستشار: تنتهى أسطورة التفوق البربرية.

ماريانا: وتنقضى دولة إسرائيل.

المستشار: بل تنقضى الأطماع التوسعية.

ماريانا: وتتلاشى الأمة اليهودية.

المستشار: بل تتلاشى عقد العداء للسامية.

ماريانا: ونذوب فى عامة الشعوب.

المستشار: وينتهى الاضطهاد والحروب.

ماريانا: (تتثاءب مثل شهر زاد) ويضيع كل ما بنيناه بالقوة والسلاح.

المستشار: كل من يأخذ بالسيف... بالسيف يهلك.

ماريانا: لا. لا. لن نؤمن بما تؤمنون. سنقاوم ونحارب ونبنى إسرائيل الكبرى. هل نتخلى عن وعد الله دولة من النيل إلى الفرات؟

المستشار: لو بقى هذا الوعد قائما، ألا يعنى هذا أن تبقى اللعنة أبدية؟ لعنة الماضى ولعنة مئات الجرائم فى فلسطين. **(تخرج ماريانا)** غاضبة وهى تقول لا. لا. لا، ثم تظهر صور الطائرات على شاشة خلفية وهى تضرب خيام اللاجئين (مشهد 1) وتلاميذ بحر البقر (مشهد 2) وعمال أبى زعبل (مشهد 3) كما تظهر صور الضحايا والدماء تغرق المكان كله.

(بينما تتوالى هذه المشاهد على الشاشة، تلتفت ماريانا إلى هيئة المحكمة وتقول: إذا كنتم لا تملكون سلطة الصفح عن أعداء الله، فإن قيافا أيضا لا يملك سلطة إنزال اللعنة على شعبنا على طول المدى).

ستـــــــار

المشهد الثالث

نفس المشهد السابق حيث نرى هيئة المحكمة والمتهمين. وفى الخلفية لوحة كبيرة للمسيح المصلوب.

القاضى: نعود لمناقشة المتهمين.

المدعى: **(يقف)** أما عن التهمة فهى واضحة لا تحتاج إلى تحديد **(يشير إلى صورة المسيح المصلوب التى تظهر فى خلفية المسرح)** فهذه يا سادة هى الجريمة، وبقى علينا أن نحصر التهمة ونحدد أشخاص المجرمين ولكى يتم ذلك بسهولة سأبدأ بمناقشة المتهم الثانى أولا.

بيلاطس: **(يتقدم نحو المنصة)** لا بأس.

القاضى: اجلس على مقعد الشاهد وتذكر أنك أقسمت أن تقول الحق ولا شىء غير الحق.

بيلاطس: شكرا سيدى.

المدعى: ورد فى أقوالك أن المسيح كانت له شعبية كبيرة فهل هذا صحيح؟

بيلاطس: ولهذا أمرت بوضع هذه العبارة على الصليب **(يشير إلى عبارة "ملك اليهود")** فقد كنت أعتقد ذلك فعلا.

المدعى: هل كان مجلس الشيوخ والكهنة يمثل حقا الأغلبية الشعبية التى تضفى على أحكامه صفة الشرعية؟

بيلاطس: لا. لم يكن ذلك المجلس يمثل الأغلبية الشعبية، ولم يكن يعبر عن مصالحها.

المدعى: لماذا لم تطعن فى الحكم إذن؟

بيلاطس: كان فقدان المجلس للأغلبية وبالتالى إلى الشرعية أمرا مفروغا منه تماما. ولكن المشكلة الصعبة هى كيفية إثبات ذلك عمليا.. فالمجلس يمثل الشيوخ والكهنة والأغنياء. انهم يسيطرون على مقدرات الشعب وأرزاقه. والأهم أنه لم يكن لى حق التدخل أو البحث فى هذا الأمر.

المدعى: وكيف تريدنا أن نصدق ذلك؟ أنت حاكم المستعمرة وممثل القيصر، ألم يكن يهمك سلامة المجلس التشريعى وتوفير الأهلية له فى البلد الذى تحكمونه.

بيلاطس: بالعكس. كانت سلطتى محدودة برغبات القيصر وكان القيصر يهمه أن يبقى هذا المجلس ضعيفا فاقدا لأساس شرعيته مما ييسر لنا جباية الجزية، وفى الوقت نفسه يشعر الشعب أنه يمارس حكم نفسه بنفسه ولا يحس بوطأة استعمارنا.

المدعى: قلت أيضاً إنك رأيت فى المسيح رجلاً باراً! فكيف قبلت تنفيذ حكم الصلب فيه؟

بيلاطس: قبلت ذلك مكرهاً. وبعد وقت طويل من التردد بما أتاح لمؤامرات الشيوخ أن تنمو وتتفرع وتحيط بى من كل جانب..

المدعى: وضح كلامك لنا.

بيلاطس: تعمدت فى البداية ألا أهتم بشكوى هؤلاء اليهود. فقد رأيت فى المسيح مخلصاً لهم من جشعهم وأنانيتهم وماديتهم الدنيئة كانوا هم دائبين على الشكوى منه. كنت آمل أن ترق قلوبهم ويتعرفوا على ما فى دعوته من جمال وفضائل عظيمة. ولكنهم اتخذوا من سكوتى ذريعة للدس لى عند القيصر وتحريضه ضدى.

المدعى: ما الذى جعلك ترى فى المسيح مخلصا لهذا الشعب؟

بيلاطس: كان من أهم الأسباب تعلق زوجتى به. كانت مدفوعة بحب الاستطلاع الغريزى للمرأة فأخذت تتابع تعاليمه ومعجزاته، كانت ترسل من يتابعه ويحكى لها عنه حتى بدأت تؤمن به وتحلم به أيضاً.

المدعى: هل تذكر شيئاً معيناً تأثرت به؟

بيلاطس: حين بدأ اليهود يشكون منه روت لى أنها قد رأته فى حلم يصنع أشياء عظيمة تخفف الآم للناس وتطمئن قلوبهم واستحلفتنى ألا أسمع لوشايات الشيوخ وافتراءاتهم على هذا الرجل البار.

قيافا: يا لك من ثعلب ماكر تحتال على الأمور وتقلب الحقائق لصالحك حتى فى ساحة المحكمة فتروى هذه الرواية المختلقة لتصور للناس أنك كنت تحبه، لكن تمهل!

القاضى: اسكت يا قيافا، وانتظر دورك.

بيلاطس: هذه رواية صحيحة ويمكن للمحكمة التأكد من ذلك بسماع شهادة زوجتى.

قيافا: **(بحركة مسرحية)** احترسوا يا سادة. فالمتهم يحاول أن يلعب بعواطفكم ويستميل هيئة المحكمة بحيل رخيصة.

القاضى: استحى يا قيافا! لا تهين المحكمة واحترم سنك. **(يلتفت للمدعى)** من فضلك، نادى على كلوديا زوجة بيلاطس لتدلى بشهادتها.

كلوديا: **(تتقدم نحو المنصة)**

القاضى: اسمك بالكامل.

كلوديا: كلوديا كلوديوس زوجة بيلاطس البنطى، الحاكم الرومانى لليهودية فى زمن المسيح.

القاضى: خلال وجودك فى تلك الولاية الرومانية، كيف كنت تشغلين وقتك؟

كلوديا: باعتبارى زوجة حاكم المستعمرة كان على أن أقوم بواجباتى المنزلية العادية، بالإضافة إلى عملى فى إدارة الجمعية الخيرية التى أنشأتها أنا وبعض السيدات. فقد كرست وقتا طويلا للأعمال الخيرية فى أورشليم والقرى المحيطة.

القاضى: ما هى هذه الأعمال الخيرية؟

كلوديا: فتح ملاجىء لرعاية الأيتام وحمايتهم من التشرد.

القاضى: أكان معك عدد كبير من الأعضاء؟

كلوديا: أبدا. كان معى زوجات كبار الموظفين الرومان العاملين مع بيلاطس فى دار الولاية وعدد قليل من السيدات المستنيرات من اليهوديات والمحبات للخدمة العامة والنشاط الاجتماعى.

القاضى: هل كانوا من الأغنياء؟

كلوديا: الأغنياء كانوا يعزفون تماما عن المشاركة فى هذه الأمور، وكان أكثر السيدات المتعاونات معنا من الطبقة المتوسطة اللاتى ترق قلوبهن لألام التعساء.

القاضى: ما هى مصادر تمويل الجمعية؟

كلوديا: من حصيلة تبرعات الأعضاء وجزء من دار الولاية كمعونة.

القاضى: ألم تلجأوا للأغنياء لطلب التبرعات؟

كلوديا: بعض عضوات الجمعية قمن بهذه المحاولة ولم يجدن استجابة كبيرة حتى فى مناسبات الأعياد.

القاضى: ألم يكن الأغنياء يستجيبون لدعوتكن؟

كلوديا: ولا لأى دعوة خيرية. كانوا يعتبرون هذه الدعوات وسيلة لابتزاز أموالهم.

القاضى: هل كان للجمعية نشاط آخر؟

كلوديا: إقامة المباريات الرياضية ونشر الثقافة اللاتينية وتعليم الأطفال الأيتام الى جانب الحفلات الترفيهية فى بعض المناسبات.

القاضى: هل صادفتم صعوبات أو متاعب من جانب الآخرين؟

كلوديا: هيه! متاعب وصعوبات لا تحصى، أغلبها من نساء الكهنة والشيوخ. كن ينشرن الإشاعات المغرضة ضدنا، ويقلن إن هدف الجمعية هو نشر الفجور تحت ستار تعليم الأيتام ورعايتهم.

القاضى: وما السر فى هذا؟

كلوديا: كن فى خوف من أى حركة تهدف إلي التغيير ولو كانت بسيطة، ويعتبرونها خطرا على المجتمع اليهودى. كان رجالهن يشاركون فى العمل ضدنا.

المدعى: وماذا كانت حجتهم فى هذا؟

كلوديا: كانوا يقولون ما فائدة تعليم الأيتام، ومن سوف يخدمهم إذا تعلم هؤلاء؟.

القاضى: وكيف كان موقف أعضاء الجمعية من دعوة المسيح؟

كلوديا: رحبوا بهذه الدعوة من البداية.

القاضى: لماذا؟ ألم يكن يهوديات؟

كلوديا: بعضهن كن يهوديات من أصحاب العقول المستنيرة. كن يرين فى هذه الدعوة عاملا قويا لهدم قواعد الظلم والتعصب والجمود. كن متلهفين على الاصلاح الروحى والاجتماعى وكن يعتقدن بأن

رسالته كفيلة بتدمير التعصب والجمود وبناء مجتمع جديد يسوده الحب والعدل.

القاضى: كانوا متفائلين أم أنك تبالغين فى تقديراتك.

كلوديا: كانوا متفائلين فعلا لأن تلك العضوات اللائى لم يكن من الرومان أى كن يهوديات سابقا كن فى حالة من الضيق والملل الشديد من تقاليد مجتمعهم البالية. لكن تعاليم المسيح ملأتهن بروح جديدة وإلا فكيف تعلل نجاح دعوة المسيح إذا لم تجد مثل هذه الاستجابة؟

القاضى: هذه نقطة هامة، لكن ماهو موقفك أنت؟

كلوديا: بحكم وضعى كزوجة لحاكم أجنبى، فقد كنت مثله متخوفة منذ البداية حتى تبينت الأغراض النبيلة لدعوة المسيح فأمنت بها ولولا خوفى على مكانة زوجى وحياته لأعلنت إيمانى بالدين الجديد.

القاضى: وهل كان اعتناقك للدين الجديد علانية يمثل أى خطر عليكم؟

كلوديا: كرومانيين كنا نعبد الآلهة الرومانية بل ونعبد الأمبراطور نفسه. ولم نكن نجرؤ أن نتحول علنا إلى المسيحية.

القاضى: هل آمنتم بالمسيح فى قلوبكم؟

كلوديا: كنت مؤمنة به حقا. خصوصا بعد أن رأيته فى حلم ينقذنى من مأزق مخيف.

القاضى: وزوجك؟

كلوديا: كان زوجى يتعاطف مع دعوته ويحترم مبادئه ويرى فيها الخلاص لمجتمع راكد متعفن يقوم على الاستغلال والرق.

القاضى: كيف عرفت أنه كان يتعاطف معه؟

كلوديا: كان يستمع لكل ما أرويه عنه من أخباره ومعجزاته بشغف وإعجاب وكان يخبرنى بمناورات الكهنة والشيوخ مؤامراتهم ضده. وقد وعدنى بعدم التعرض له بأى أذى أو الوقوف ضده.

القاضى: أكان تأثيرك عليه قويا إلى هذا الحد؟

كلوديا: ليس تأثيرى وحدى. فقد كان يتابع حركة الجماهير وإعجابهم بالمسيح. وقد شجعنى هذا لأن ادعوه للانضمام إليه!

القاضى: وماذا كان رد الفعل عنده؟

كلوديا: لقد فكر فى الأمر فعلاً. لكن الأمور تطورت سريعا. وبدأت مكائد الشيوخ ضده تتوالى فلم تترك له فرصة للتفكير السليم.

القاضى: هل تحبين أن تضيفى شيئا آخر؟

كلوديا: لا، لا شىء.

القاضى: شكرا **(يلتفت إلى المدعى)** هل لديك أسئلة أخرى للشاهدة؟

المدعى: (يهز رأسه بالإيجاب) هل رأيت زوجة قيافا؟

كلوديا: رأيتها مرات قليلة. رأيت عجوزا شمطاء يبدو عليها التوتر. قيل إنها تكرهنى وتغار منى، وعرفت بعد ذلك أنها كانت مصدر الإشاعات الخبيثة ضدنا.

المدعى: وبقية نساء الشيوخ والرؤساء والكهنة.

كلوديا: اتخذن نفس الموقف. فقد كان هذا هو الموقف الرسمى لأزواجهن. وهم جميعا على اتفاق تام بأن كل دعوة جديدة هى خطر عليهم ويجب محاربتها.

المدعى: هل عرفت شيئاً عن موقفهن من المسيح؟

كلوديا: كن يتندرن بأقواله ويسخرن من تعاليمه ومعجزاته ويقلن: هل يخرج من الناصرة شيء صالح؟

المدعى: هل تضيفين شيئاً آخر؟

كلوديا: لا شيء وأشكر المحكمة على رحابة صدرها.

المدعى: والمحكمة تشكرك على هذه الأقوال المفيدة **(ينظر لقيافا)** هل لديك تعليق على كلامها يا قيافا؟

قيافا: فى كلامها ما يغنى عن أى تعليق. فقد أوضحت بجلاء موقف الجمعية التى كانت ترأسها، وهو موقف التآمر على المجتمع اليهودى. وحين رأت أن دعوة المسيح تحقق أهدافهم أعجبت به وآمنت وبدأ زوجها يتعاطف معه.

المدعى: طيب نعود إلى بيلاطس نستكمل مناقشته **(يلتفت إليه)** وضح لنا ما جاء فى أقوالك من أن الشيوخ اتخذوا من سكوتك ذريعة للدس لك عند القيصر. هل تذكر وقائع محددة؟

بيلاطس: أرسل مجلس الشيوخ رسولاً إلى بلاط الإمبراطور وأشاع بين رجاله أن المسيح يمثل أكبر خطر على الإمبراطورية لأنه يدعو الناس للتمرد والثورة وعدم دفع الجزية.

المدعى: هل تأكدت من ذلك؟

بيلاطس: طبعاً فقد أرسل لى القيصر صورة من الخطاب الذى أرسله مجلس الشيوخ ورددت عليه قائلاً إن الرجل لا يمثل أى خطر على الإطلاق، وأن دعوته دينية خالصة لا تتعرض للجزية من قريب أو بعيد. وهو يقول لأتباعه "أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله".

المدعى: وماذا كان رد الفعل بعد ذلك؟

بيلاطس: ازداد غضب الشيوخ وحقدهم عليه فأرسلوا فى المرة الثانية من يقول إن بيلاطس متواطئ مع المسيح لإحداث ثورة تفصل

فلسطين عن الإمبراطورية. واستغلوا احتفالات أحد السعف لإثبات كذبهم.

المدعى: ماذا حدث فى هذه المناسبة.

بيلاطس: فى ذلك اليوم دخل المسيح أورشليم راكباً جحشاً واستقبلته الجماهير بفرح عظيم وهم يحملون سعف النخيل وأغصان الزيتون ويهتفون له هتافات معينة.

المدعى: هل تذكر بعض هذه الهتافات؟

بيلاطس: كان أهمها عبارة أوصنا يا ابن داوود، أوصنا فى الأعالى.

المدعى: وما معنى هذه العبارة؟

بيلاطس: تعنى "اذكرنا فى الأعالى"

المدعى: وكيف استغل الشيوخ هذه المناسبة ضدك.

بيلاطس: قالوا للقيصر إن هذه الكلمات تعنى إنه ملك اليهود الذى جاء يرث ملك داوود وهيكل سليمان وأن هذا الاحتفال ما هو إلا مسيرة شعبية لتعبئة الجماهير استعداداً للثورة القادمة.

المدعى: إلى هذا الحد تطورت الأمور؟

بيلاطس: هذا ما حدث فعلاً وعرض حياتى للخطر. فقد بدأ القيصر يفكرفى التخلص منى وبدأ الحاقدون من رجال البلاط يغذون الفتنة. ولم انتبه إلا أخيراً حين جاءنى أحد لأصدقاء يخبرنى ويدعونى لليقظة.

المدعى: وكيف حاولت أن تواجه الأمر؟

بيلاطس: حين قبض الشيوخ على المسيح وحكموا عليه بالصلب وسلموه لى وجدت نفسى فى مأزق خطير وفكرت فى الخروج منه، وحيث أن المسيح كان من مواطنى الجليل وطلب أن يحاكم أمام سلطات

الجليل فأرسلته إلى هيرودس حاكم الجليل وقلت إنه يهودى ويستطيع أن يتصرف أفضل منى.

المدعى: ولماذا أرسلته إلى هيرودس؟

بيلاطس: لم أكن أريد قتله، وفى الوقت ذاته أدفع عن نفسى شبهة التواطىء.

المدعى: قل لماذا لم تخبر القيصر بحقيقة الأمر؟

بيلاطس: أنت تطلب المستحيل. فلم يكن القيصر حكيماً حتى ينتظر الحقائق، ولا يهمه إلا استقرار الأمور فى الولاية. وقد رأيت أنه فى مقدور هيرودس أن يطلق سراح المسيح دون أن يحتج عليه أحد.

قيافا: كان يريد من هيرودس أن يقتله.

بيلاطس: لو كان ذلك غرضى لقتلته وأرضيت جميع الأطراف أنتم والقيصر.

قيافا: كنت تريد أن تتصالح مع هيرودس على حساب المسيح لكنه كان أذكى منك.

بيلاطس: لا شك فى ذكائه، فهو يهودى لا غش فيه، وسفاح أيضا أليس هو الذى قتل يوحنا المعمدان وقدم رأسه على طبق من فضة لابنة هيروديا.

قيافا: لا تخرج عن الموضوع وحاول أن تنقذ نفسك. فى البداية تركت المسيح عمداً حتى يحدث شرخاً فى جدار المجتمع ويهز كيانه. وفى النهاية تبينت خطره عليك فأرسلته ليقتل بعيداً عنك. وبهذا تبدو بريئاً، ولكن هيرودس أوقعك فى شر أعمالك.

القاضى: كفى من فضلك أنت وهو. لنسمع شهادة هيرودس الآن

المدعى: ندعو هيرودس ليمثل أمام المحكمة.

القاضى: هيرودس؟ آه، نعم. نادى على هيرودس.

هيرودس: (يتقدم نحو المنصة) أفندم؟

المدعى: نريد شهادتك على هذه الأمور.

هيرودس: بالتأكيد. المسيا المزعوم كان مواطنا يهوديا، اتهم بجريمة دينية فى أورشليم، أضيفت إليها تهمة العمل ضد الأمبراطورية، فكيف يمكن لى محاكمته، والمعروف جيدا أن سلطتى محصورة فى داخل حدود مملكة الجليل؟

المدعى: لكنك رأيت يسوع المسيح ؛وتحدثت معه.

هيرودس: نعم، تحدثت معه فعلا. لكن كان رأى أنه ليس بإمكان أحد أن يقدم سببا معقولا لماذا يجب أن يحاكم فى هذه القضية. لذلك أعدته إلى بيلاطس.

المدعى: هذا يعنى أنك لم تناقش القضية؟

هيرودس: طبعا لا. ذلك لأن المسيح كان له أتباع فى موطنه بالجليل. فلماذا أفعل ما يغضب هؤلاء الناس؟ لتقع مسئولية موته على رئيس الكهنة هنا فى أورشليم وعلى بيلاطس أيضا.

المدعى: ما الذى حدث بعد أن أعاده هيرودس إليك؟

بيلاطس: جاء قيافا وأعضاء مجلس الشيوخ والكهنة وخلفهم جمع من الغوغاء وهم يصيحون ويطلبون منى أن أصلبه. فما كان على إلا أن أسلمه كارهاً للجنود. وغسلت يدى أمامهم وقلت لهم إنى برىء من دم هذا البار.

المدعى: هل يعنى هذا أن قيافا ومجلس الشيوخ هم الذين صلبوا المسيح؟

بيلاطس: لقد كان الجنود الذين أخذوه من أبنائهم. وقد تركوا بقية الجمع يلطمونه ويسخرون منه. كنت أريد من اليهود أن يتحملوا وزر هذه الجريمة الشنعاء.

المدعى: وماذا حدث؟

بيلاطس: تحملوها فعلاً على النحو الذى ذكرته.

المدعى: انتهيت من كلامك؟

بيلاطس: كلمة واحدة فقط أسجل فيها ندمى الشديد على موقفى المتخاذل من المسيح. فقد كان ينبغى على أن أقف إلى جانبه وأناصر الحق وأؤيد دعوته خصوصاً وأنى كنت مؤمناً بذلك، لكننى وان كنت ضحية لمراكز القوى المتآمرة إلا أن ذلك ليس عذراً. فقد كان يجب على اتخاذ موقف محدد منه والدفاع عنه حتى ولو كان فى ذلك تحد لليهود والقيصر. فهذه مسئوليتى الحقيقية. لقد خشيت على المنصب وهادنت الظلم.

المدعى: شكرا يا سيد بيلاطس، استأذن الآن لسماع شهادة يهوذا الإسخريوطى.

يهوذا: (يتقدم من المنصة)

المدعى: هل استمعت جيدا لكل الشهود وشهادتهم؟

يهوذا: استمعت باهتمام.

المدعى: تفضل واحكى للمحكمة ما تعرفه عن المسيح وبالتفصيل وعن الشيوخ أيضا.

يهوذا: هذه قصة طويلة يا سيدى!

المدعى: قل لنا ما تعرفه.

يهوذا: حينما سمع الشيوخ تعاليم المسيح والأمثال التى يضربها للجماهير عرفوا أنه يقصدهم، وبحثوا عن طريقة للإمساك به. لكنهم خافوا من عامة الناس لأن العامة كانت تؤمن بأنه نبى. ثم اجتمع الشيوخ والكهنة فى بيت رئيس الكهنة قيافا الجالس هناك **(يشير إلى قيافا)** وهناك عقدوا العزم على القبض على يسوع تمهيدا لقتله بطريقة ما – ولكن ليس فى أيام عيد الفصح، خشية وقوع اضطرابات فى هذه المناسبة.

المدعى: كيف عرفت ذلك.

يهوذا: لقد كنت تلميذا للمسيح وأحد أتباعه المقربين وسرت وراءه من مكان إلى مكان وأدركت شدة كراهيتهم له واحتقارهم لنا. لقد روعتنى تهديداتهم. وتأكد لى أنهم سوف يقتلون المسيح ثم يمسكوننا ويعذبوننا. وفى النهاية يتم القضاء علينا بالقتل. ولكى أنقذ نفسى عرضت مساعدتهم فى العثور على المسيح والقبض عليه.

المدعى: وكيف استجابوا لهذا العرض؟

يهوذا: كان لدى رئيس الكهنة قيافا بعض الأسئلة، وأصابنه الدهشة عندما علم أننى واحد من تلاميذ المسيح المقربين. وقال إنه مستعد أن يدفع لى مبلغا من المال لو أننى سلمت لهم المسيح سرا.

المدعى: كم دفع لك؟

يهوذا: اتفقنا على ثلاثين قطعة من الفضة.

المدعى: وكيف خططت لتسليم المسيح لهم؟

يهوذا: وعدت قيافا بأن أعود للمكان الموجود فيه المسيح وانتظر اللحظة المناسبة لكى أسلمه لهم.

المدعى: ثم ماذا؟

يهوذا: لقد جمعوا عددا من الرجال مسلحين بالعصى يقودهم حراس المعبد. بل إن بعض الشيوخ، والكتبة والفريسيين ساروا ورائى إلى حيث كان المسيح موجودا. وكان الظلام لا يسمح لهم بالرؤية الواضحة لوجوه الأشخاص التى تبدو كأشباح فى ثياب بيضاء. وعندما نظرت إلى المسيح ابتسم لى، وعلى وجهه مسحة من الحزن، وفتح لى ذراعيه فأسرعت إليه وقبلته. وهنا تقدم أعضاء العصابة وأحاطوا به ثم أخذوه كما لو كان قاطع طريق.

(هذا المشهد الخاص بالقبض على المسيح يمكن عرضه صامتا على شاشة خلفية فى تتابع مع الوصف الذى يقدمه يهوذا)

المدعى: كيف تبرر خيانتك للمسيح وأنت تعترف بأنه كان يحبك ويقربك؟

يهوذا: لقد وقعت ضحية التآمر والإغراء. وقد اعترفت بجريمتى وندمت عليها وحكمت على نفسى بأشد أنواع العقاب حتى أمحو عارى وعلى الباقين من رأس التآمر أن يتعلموا كيف يكون التكفير عن الجرائم **(يمشى نحو المشنقة، يصعد عليها ويشنق نفسه).**

المدعى: والآن قد تبين بالأدلة القاطعة وبأقوال الشهود كيف تآمر قيافا ومجلس الشيوخ على صلب المسيح. وبهذا حقت عليهم اللعنة الأبدية. وعلى أولادهم من بعدهم.

قيافا: وكيف يكون أولادنا مسئولين عن جريمة قتل ارتكبناها نحن دفاعاً عن أنفسنا وعن مصالحنا الحيوية. هل هناك دولة متحضرة تقول بهذا؟

المدعى: هناك العدالة الإلهية التى ارتضت بهذا الحكم. وقضت به لأنك أنت الذى حكمت على نفسك. ألم تقل "دمه علينا وعلى أولادنا"؟

قيافا: هذا ليس صحيحا ولا أتذكر ماذا قلت فى تلك اللحظة. كنت فى حالة انفعال شديد وخوف. لم أكن أسيطر فيها على زمام نفسى أو عواطفى، وما قلته كان انفجارا عاطفيا، وتنفيسا عن الحيرة واليأس. ولم يكن حكما إلهيا. إنه كلامى وليس كلام الله. وقد سامحنا يسوع وغفر لنا وهو على الصليب حين قال "اغفر لهم يا أبتاه لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون".

المدعى: يا قيافا أنت شيخ كبير ولا يصح أن تقول هذا.

قيافا: كنت وأخوانى الكهنة والشيوخ مسئولين عن أمن المجتمع وسلامته. وقد اتخذنا الإجراء الضرورى لحمايته.

المدعى: هل تعتقد أنه كان الإجراء السليم؟

قيافا: كان الدمار يهدد حياة الشعب واستقراره، وكان من الخير أن يموت واحد من أجل الجميع!

المدعى: هذه صراحة نشكرك عليها.

القاضى: ترفع الجلسة للتشاور ونترك الحكم للجمهور.

يظهر الراوى:

المحاكمة ما انتهتش
والجريمة مستمرة
والمجازر لسه دايرة
فى فلسطين الشهيدة
نصف قرن من الزمان
واحنا بنعانى الهوان
والصهاينة السفاحين
كل يوم عاملين جريمة
والتاريخ يشهد وأنتم شاهدون
عالمجازر فى كفر قاسم ودير ياسين
الدماء روت الصحارى والسهول
والضحايا الأبرياء بيزيد عددهم
هيا نتعرف عليهم
فى الميدان وعلى الطبيعة
القتيل وقاتليه
فالجريمة المستمرة
هى موضوع القضية
والمحاكمة ما انتهتش
لكن العدالة جاية

(يختفى الراوى وتتحول هيئة المحكمة إلى شكل كورس)

الثلاثة: احكموا يا حاضرين وأدينوا السفاحين

القاضى: أما بيلاطس فأمره يدعو للحيرة عجيب. هل هو مذنب حقيقى أم هوحقا برىء؟

المدعى: لا. لا. فبيلاطس هذا أيضاً

جرمه مثل الباقين

فهو أصل للرزايا

مجرم كالمجرمين

هو بلفور وهو جونسون

هو إيدن أو موليه

هو أيضاً مثل نيكسون

ينبغى القبض عليه

القاضى: نترك الأمر إليكم

هيا يا أصحاب القضية

واجهوهم في ميادين القتال

واستردوا أرضكم

واصنعوا عصر السلام.

عند انتهاء هذا الكلام نرى على شاشة خلفية الفيلم الذى سجله التلفزيون المصرى لواقعة استسلام 37 ضابطاً وجندياً إسرائيلياً بعد أن حوصروا فى أحد مواقع خط بارليف أثناء معركة أكتوبر. وينتهى الفيلم على موسيقى خللى السلاح صاحى.

انتهت